مختصر التعبّد
بالأسماء والصفات

اختصره الدكتور
إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمــة المختصِر

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، أما بعد :

فهذ مختصر لكتاب أخي الشيخ أ.د. وليد بن فهد الودعان[1] –حفظه الله– الموسوم بـ"التعبّد بالأسماء والصفات، لمحات علمية وعمليّة" .

والأسماء والصفات لها ارتباط وثيق بعمل القلب ، فهي سائق القلب ، وحاديه إلى الله عزّ وجلّ ، ولِذا كان هذا الموضوع من مَهمّات عمل القلب ، بل إنّه بالنظرة الشاملة الواعية أهمّ مَهمّاته ، وأعظم أعماله .والمراد بالتعبّد بالأسماء والصفات : العبوديّة لله بها .والإشارة لعظمة هذا الأمر ، وبيان شيء من آثاره على التربية والسلوك ، وحاجة الناس إليه ، وضرورة تنبيههم على أهميّته بكل الوسائل الممكنة ، والمتاحة كالرسائل ، والمحاضرات ، والكلمات ،وغيرها .

وقد ذكر المؤلّف–وفّقه الله– أوّل الكتاب مقدّمتين ،المقدمة الأولى: تزكية النفس. والمقدّمة الثانية : أعمال القلوب . ثمّ تحدّث عن أهمية موضوع التعبد بالأسماء والصفات ،ثمّ من يحتاج إلى هذا الموضوع ؟ ثم ذكر مراتب التعبّد بالأسماء والصفات ، وطُرق الوصول إلى التعبّد بالأسماء والصفات ، ثمّ آثار التعبّد بالأسماء والصفات ، ثمّ ذكر مثالاً تطبيقيا للتعبّد باسم الرحمن ، ثمّ آثار ذلك ، وتنبيهان ، والخاتمة .

وقد قرأت الكتاب وألفيته مفيدا في بابه ،غنيا بحروفه ومفرداته، فأحببت اختصاره ليكون سهلا يعمّ نفعه الجميع ، بإذن الله .

علماً بأن النسخة التي اعتمدتها في هذا الاختصار هي : الطبعة الأولى لدار كنوز أشبيليا بالرياض لعام ١٤٢٤هـ، وعدد صفحات الكتاب ١٠٨ صفحة، وخطتي في هذا المختصر كالتالي :

(١) أبقيت ترتيب المؤلف للكتاب .

(٢) حذفت ما رأيت أنه من باب الاستطراد .

(٣) عدم الإخلال بالمعاني التي أرادها المؤلف وفّقه الله .

(٤) أبقيت عزو الآيات إلى موضعها في القرآن الكريم ،كما هي في المتن .

---

(١) أستاذ أصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . .

(٥) أبقيت توثيق المؤلف في الحاشية كما هو .
(٦) اكتفيت بتخريج الأحاديث من الكتاب الأصل للمؤلف.
(٧) رأيت أنّ قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[٢].يدخل ضمن عنوان (رحمة تغيب عن كثير من الأذهان) فوضعته فيه .

هذا والله أسأل أن يجعل عملنا خالصا لوجهه ،وأن يتقبله وينفع به كاتبه ومختصره وقارئه، وناشره، إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

ebrahim.f.w@gmail.com

الموقع التجريبي

/http://eb-alwadaan.site123.me

(٢) رواه الترمذي(١٩٢٤)وقال:" حديث حسن صحيح"،وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٥٦٩)والسلسلة الصحيحة(٩٢٥).

مقدّمتان

المقدّمة الأولى : تزكية النفس

العناية بالنفس ، والسعي إلى تزكيتها ، وتطهيرها من فترة إلى أخرى هو السبيل الأمثل ، والطريق الأقوم للسموّ بالروح ، والسلامة من الملل الذي قد يتلوه الجمود ، أو الانقطاع .وقد أمر الله بتزكية النفس ، ومتابعتها ، ومحاسبتها ، وحثّ عليه ، بل وربط الفلاح بذلك . فقال تعالى : (قد أفلح من زكاها)[الشمس ٩]،وقال تعالى: (قد أفلح من تزكى)[الأعلى١٤].

وتزكية النفس هي دعوة الأنبياء ، وخُلاصة رسالتهم ، ولذا لـمّا دعا موسى عليه السلام فرعون قال له : (هل لك إلى أن تزكى)[النازعات ١٨]، وقال سبحانه عن دعوة النبي ﷺ : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[الجمعة ٢].

معنى تزكية النفس :وقد بيّن النبي ﷺ معنى تزكية النفس بكلمة جامعة مانعة حيث قال: " ثلاث من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبدَ الله وحده فإنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه في كل عام ، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا الشرط اللائمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم ، فإن الله عز وجل لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بِشَرّه ، وزكى عبد نفسه " فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: " يعلم أن الله معه حيث ما كان "[٣] . وهذه الكلمة هي جماع معنى الإحسان ، وهي تعبّدٌ باسم الله العليم ، وما يقتضيه العلم من صفات الكمال والجمال .ففي الحديث إشارة إلى التعبّد بالأسماء والصفات ؛ وأنّ ذلك الطريق الأمثل لتزكية النفس وتطهيرها .

تزكية النفس بالتوحيد : وإنّ أعظم ماتزكو به النفوس هو التوحيد ، قال ابن كثير –رحمه الله– في قوله تعالى : (وويل للمشركين ،الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون)[فصلت ٦-٧]. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلاّ الله ، وكذا قال عكرمة . وقوله عز وجلّ : (قد أفلح من زكاها ،وقد خاب من دساها) [الشمس ٩-١٠]،والمراد بالزكاة هاهنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك [٤] .

الأسماء والصفات وأثرها في تزكية النفس :إنّ الأسماء والصفات من التوحيد في الذروة العظيمة ، والمكانة الجليلة ، لذا كان الاعتناء بها ، والتعبّد بمقتضاها من تزكية النفس ، ومن السلوة بتوحيد الله تعالى عن غيره ، فكان على كل عبد أن يعتني بها لنجاة نفسه ، وسلامة قلبه .

---

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٩٦/٤) . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٤٦) وهو في سنن أبي داود (١٥٨٢) إلى قوله : (بشره) .

(٤) تفسير القرآن الكريم (٩٩/٤ ، ٢٤٩/٣) .

وخلاصة القول في تحقيق التوحيد أنّه : "تخليصه ، وتصفيته من شوائب الشرك ، والبدع ، والمعاصي " [٥] .وإذا تمكّنت الأسماء والصفات من قلب العبد خلّصت قلبه من كلّ شائبة شركية أو بدعيّة ، وطهّرت نفسه من كلّ دَنَس ولو كان قليلا .

المقدّمة الثانية : أعمال القلوب

قد يغفل كثير من الناس عن الاعتناء بأعمال القلوب مع أنّ ذلك من جملة الإيمان ، بل إنّ ذلك من أوّل ما يدخل في الإيمان . قال ابن تيمية– رحمه الله– :" فإنّ دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلّها " [٦].

عمل القلب أهمّ من عمل الجوارح:وعمل القلب أشدّ وجوبا من عمل الجوارح ، لذا قال ابن القيم –رحمه الله– موضّحا ذلك : " في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب وأنها لا تنفع بدونها وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من اعمال الجوارح وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت "[٧] .

ولذا كان عمل القلب أعظم خطرا من عمل الجوارح ، وأشدّ أمرا . فمن أتى بعمل الجوارح غافلا عن عمل القلب كان ضالا ،أو مُقصّرا بحسب نوع تركه لعمل القلب.

وبين عمل القلب وعمل الجوارح تلازم ضروري ، قال ابن تيمية — رحمه الله –:" إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك.وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً "[٨].

أقسام السائرين إلى الله في أعمال القلوب

والسائرون إلى الله في أعمال القلوب أقسام :

الأول : قسم اعتنوا بالأعمال الظاهرة وجعلوها دأبهم من غير حرص منهم على تحقيق أعمال القلوب ، ومنازلها وأحكامها ، وإن لم يكونوا خالين من أصلها . فترى أحدهم يُقيم الصلاة غير أنه لا يعتني بخشوعها ، وإظهار الذلّ والاستكانة فيها ، ويعتني بعدم سماع المحرّم من غيبة ، أو نميمة غير أنّ قلبه مخمور بالحقد ، والكِبر ، والعُجب .وهذا حال كثير من الناس ، بل

---

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص (٨٧) .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٠٦/٧) .

(٧) بدائع الفوائد (١٩٣/٣) .

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم (٨٠/١) .

قد ينتسب أحدهم إلى العلم ، ويعتني بالأعمال الظاهرة ، وقلبه مُبتلى ، وهو لا ينتبه لذلك ، ولا يَعقله .

الثاني : قسمٌ صرفوا اهتمامهم بصلاح قلوبهم ، وعكوفها على الله وحده ، وحِفظ الخواطر ونحو ذلك. غير أنّهم تركوا بعض مايحبّه الله من الأعمال الظاهرة ؛ كالدعوة إلى الله ، وتعليم الناس الخير ، ونحو ذلك .

فالأوّلون قصّروا حيث أهملوا أعمال القلوب ولم يلتفتوا إليها ؛ وعدّوها فضلا أو فُضولا . والآخرون قصّروا حيث قَصروا نظرهم وعملهم عليها ، ولم يلتفتوا إلى كثير من أعمال الجوارح.

الثالث : قسم توسطوا فاعتنوا بأعمال القلوب ، كما اعتنوا أيضا بالأعمال الظاهرة ، غير أنّ لعمل القلب عندهم فضلا .فهؤلاء هم الذين وفّقهم الله فجمعوا بين عبودية الظّاهر ، وعبودية الباطن ، وهذا طريق السابقين والعارفين . (٩)

الأسماء والصفات وأثرها في الترابط بين عمل القلب وعمل الجوارح

وباب الأسماء والصفات مما يظهر فيه التلازم بين عمل القلب ، وعمل الجوارح ، فالتأمّل فيها ، والتعبّد بمقتضاها يبعث على الربط بين العملين .فالتعبّد باسم الله العليم يبعث على التقوى ،وحفظ الجوارح ؛ كما يبعث على حفظ القلب والخواطر.

وكذلك بقيّة الأسماء فإنها تبعث على التوكل ، والإنابة ، والمحبّة ،والخوف ، والرجاء، وما يترتب على ذلك من أعمال الجوارح ؛ من فعل ما يُحبّه الله ، والمسابقة إلى فعله ، وترك ما يُبغضه الله ، والبُعد عنه .

---

(٩) الفوائد ص (١٨٠) .

أهميّة موضوع التعبّد بالأسماء والصّفات

أوّلا : العلم بالأسماء والصفات أشرف العلوم :

إنّ من القواعد المُقررة عند أهل العلم أنّ شرف العلم بشرف المعلوم ، ولمّا أن كان هذا العلم مُتعلّقا بالله تعالى كان أعظم العلوم وأجلّها ، ولذا جعل ابن القيم علم القيم علم الأسماء والصفات من أشرف علوم الخلق . (١٠)

وكيف لا يكون كذلك وأعظم العلم هو العلم بالله تعالى .وقال ابن العربي في فضل العلم بالأسماء:" شرف العلم بشرف المعلوم ، والباري أشرف المعلومات ، فالعلم بأسمائه أشرف العلوم " . (١١)

ثانيا : العلم بالأسماء والصفات هو الطريق لمعرفة الله تعالى :

ذلك أن الله تعالى لا تراه في الدنيا العيون،ولا تحيط به الأوهام والظنون فكان باب الأسماء والصفات والتعبد لله بها هو الطريق الأمثل لمعرفة الله تعالى،فهو حادي القلوب إلى علام الغيوب،وشاحذ الهمم في درب السالكين إلى عبادة رب العالمين.

قال ابن القيم:" فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها: هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته،وهو روح السالكين ،وحاديهم إلى الوصول ،ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا " (١٢).

ثالثا: العلم بالأسماء والصفات أصل الدين، وسر العبودية :

إن علم الأسماء والصفات هو أصل الدين،وسر العبودية،قال ابن تيميةرحمه الله:"فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية،وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول،فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادا وقولا " (١٣) .

ويقول ابن القيم رحمه الله : "اعلم أن سر العبودية وغايتها وحكمتها إنما يطلع عليها من عرف صفات الرب عز وجل ولم يعطلها وعرف معنى الإلهية وحقيقتها" (١٤) .

رابعا: العلم بالأسماء والصفات من توحيد المرسلين:

إن العلم بالأسماء والصفات والتعبد لله بها من توحيد المرسلين،قال السعدي في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين :" يتعرّفون معناها ويعقلونه بقلوبهم،ويتعبدون الله تعالى بعلمها واعتقادها

---

(١٠) انظر مدارج السالكين (٢/٤٢٠) .

(١١) أحكام القرآن (٢/٨٠٤) .

(١٢) مدارج السالكين (٣/٣٦٦).

(١٣) الحموية (١٩٦).

(١٤) مدارج السالكين (١/١١٠).

ويعملون بما يقتضيه ذلك الوصف من الأحوال القلبية والمعارف الربانية فأوصاف العظمة والكبرياء والمجد والجلال تملأ قلوبهم هيبة لله وتعظيما له وتقديسا،وأوصاف العز والقدرة والجبروت تخضع لها القلوب وتذل وتنكسر بين يدي ربها،وأوصاف الرحمة والبر والجود والكرم تملأ القلوب رغبة وطمعا فيه وفي فضله وإحسانه وجوده وامتنانه،وأوصاف العلم والإحاطة توجب للعبد مراقبة ربه في جميع حركاته وسكناته.. "[١٥] .

خامسا: العلم بالأسماء والصفات أصل العلوم :

إن العلم بالأسماء والصفات أصل العلوم والمعارف،وقد شرح ذلك ابن القيم حيث يقول:"إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم ،فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا إما علم بما كونه أو علم بما شرعه ،ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى،وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه،فالأمر كله ومصدره عن أسماء الله الحسنى،وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد"[١٦].

سادسا: العلم بالأسماء والصفات طريق الكَمَلَة:

إن العلم بالأسماء والصفات والتعبد لله بها طريق الكملة من العباد،ولذا كان ذلك طريق الأنبياء وهم أكمل الخلق وأعلمهم بالله ،ثم على نهجهم سار الصديقون والسابقون،وخطى العارفون المحبون.

قال ابن القيم:"وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله،وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن قال الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)[الأعراف١٨٠]والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء ودعاء التعبد،وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها "[١٧] وقال:"أما الخواص فعمدة إيمانهم محبة تنشأ من معرفة الكمال ومطالعة الأسماء والصفات" ،[١٨] وقال:" باب الأسماء والصفات الذي إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائه وهو باب المحبين حقا الذي لا يدخل منه غيرهم ولا يشبع من معرفته أحد منهم بل كلما بدا له منه علم ازداد شوقا ومحبة وظمأ" [١٩] .

سابعا: العلم بالأسماء والصفات طريق السعادة:

إن العلم بالأسماء والصفات والتعبد لله بها قُطب السعادة ورحى الفلاح والنجاح، فمن رام السعادة وابتغاها فليأخذ نفسه بأسماء الله وصفاته، فبها والله الأنس كله والأمن كله،وما راحة

---

(١٥) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ص (٢٢١).

(١٦) بدائع الفوائد (١٦٣/١) وانظر مدارج السالكين (٤٤٩/١).

(١٧) المرجع السابق (٤٥٢/١).

(١٨) طريق الهجريتين (٥٢٧).

(١٩) المرجع السابق (٥٢٠).

القلب وسعادته إلا بها،ولم لا وهي تتعلق بمن طب القلوب بيديه،وسعادتها بالوصول إليه وكمال انصباب القلب إليه.

ولذا أشار الحبيب ﷺ إلى الاعتناء بها حين قال:(إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة) [٢٠]،وأعلى منازل الإحصاء التعبد،ولذا قال ابن القيم عن إحصائها :"وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاح والفلاح"[٢١]،وقال :"من تعلق بصفة من صفاته أخذته بيده حتى تدخله عليه ومن سار إليه بأسمائه الحسنى وصل إليه، ومن أحبه أحب أسماءه وصفاته،وكانت آثر شيء لديه،حياة القلوب في معرفته ومحبته، وكمال الجوارح في التقرب إليه بطاعته والقيام بخدمته والألسنة بذكره والثناء عليه بأوصاف مدحته"[٢٢] .

ثامنا: العلم بالأسماء والصفات طريق محبة الله:

إن العلم بالأسماء والصفات والتعبد لله بها طريق محبة الله للعبد،وهي عنوان السعادة وطريق النجاة والفوز بالرضوان،قال ابن تيمية:"وثبت في الصحيح أنه بشر الذي كان يقرؤها ويقول:إني لأحبها ؛لأنها صفة الرحمن بأن الله يحبه "[٢٣] فبين أن الله يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى،وهذا باب واسع"[٢٤] .

وإنما كان الفضل له لمحبته لسورة الإخلاص التي هي وصف الرحمن ونسبه سبحانه وتعالى،وقد جاء أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : انسب لنا ربك،فنزلت هذه السورة مبينة لصفة الرحمن[٢٥] ، فمن أحب هذه السورة إنما أحبها لما فيها من صفات الكمال والجلال لله تعالى ،ومن أحب هذه الصفات فقد أحب من اتصف بها سبحانه،فمحبة الصفات موصل إلى محبة الله تعالى.

تاسعا: العلم بالأسماء والصفات أعظم روافد الإيمان:

إن معرفة الأسماء والصفات أعظم روافد الإيمان وأجل الموصلات لحلاوته،ولذا كان من تحقق بمعانيها ووعاها بقلبه ووجدانه فإنه يجد لها من التأثيرات المختلفة على قلبه ما يهذب روحه ويسمو بنفسه حتى يصير كأنه في رياض من الجنة[٢٦]،ولذا قال ﷺ فيما يوجد حلاوة الإيمان .(أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)[٢٧].

---

(٢٠) رواه البخاري (٧٣٩٢) ومسلم(٢٦٧٧).

(٢١) بدائع الفوائد(١/١٦٤).

(٢٢) عدة الصابرين(٢٨٦).

(٢٣) رواه البخاري(٧٣٧٥)ومسلم(٨١٣):كان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (سلوه لأي شيء يصنع ذلك)، فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها،فقال النبي صلى الله عليه وسلم :(أخبروه أن الله يحبه).

(٢٤) درء تعارض العقل والنقل(٥/٣١٢).

(٢٥) انظر جامع الترمذي(٣٣٦٤.٣٣٦٥) فتح الباري(٨/٧٣٩) تفسير القرآن العظيم(٤/٦٠٤).

(٢٦) انظر شرح النونية لهراس(٢/٦٤).

(٢٧) رواه البخاري(١٦)ومسلم(٤٣).

قال السعدي مبينا روافد الإيمان:"منها بل أعظمها معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة والحرص على فهم معانيها والتعبد لله فيها،ثم ذكر حديث:(إن لله تسعة وتسعين اسما) ،ثم قال:"الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته،ومعرفة الأسماء هي أصل الإيمان،والإيمان يرجع إليها"[٢٨].

من يحتاج إلى هذا الموضوع؟

إن ما سبق بيانه يبين لك أن كل أحد بحاجة إلى العلم بالأسماء والصفات:

فالعالم بحاجة إليه ليهذب نفسه ويزكو بروحه وليسترشد به على الأحكام الشرعية والمقاصد الربانية.وطالب العلم بحاجة إليه ليهذب أخلاقه و يربي نفسه على نهج العبّاد العارفين.والعامي بحاجة إليه ليوقن بخالقه وليعرف حكمته في الشرع والكون.

---

(٢٨) التوضيح والبيان(١٠٧).

أركان التعبد بالأسماء والصفات

لا بد لكل من توجه نظره إلى التعبد بأي اسم أو صفة من أسماء الله تعالى وصفاته من أمرين مهمين[٢٩]:

الأول: الإيقان بالاسم على كماله وحسنه،والصفة على تمام الاتصاف بها:

فالمؤمن الحق من يقر بالاسم وما دل عليه من صفة أو أثر،ويقر بذلك على كماله، فالله تعالى له الأسماء الحسنى البالغة في الحسن أعظم درجاته،ومن أخل بشيء من ذلك حرم من هذا الباب بقدر ما عنده من الإخلال، ومن أنكر الأسماء والصفات فأنى أن تدخل حقيقة الإيمان قلبه،بل دون ذلك خرط القتاد.

وتأمل وفقك الله كلمة الحسنى هل يمكن أن تتم مع التعطيل؟،وهل يمكن معرفة الله تعالى بجماله وكماله إلا بمعرفة الأسماء الحسنى والصفات العلى وإثباتها له تعالى كما يليق بجلاله،قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:"فمن قال إن ذاته تعرف بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية والسلبية فقوله معلوم البطلان ممتنع وجود ذلك في الأعيان"[٣٠].

قال الدارمي في رده على بشر:"ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله لم يزل إلها واحدا بجميع أسمائه وجميع صفاته لم يحدث له منها شيء كما لم تزل وحدانيته"[٣١].

الثاني: أن يعامل كل اسم أو صفة بما يقتضيه ذلك الاسم أو تقتضيه تلك الصفة :

فمثلا:من أسماء الله الأول:فمن أيقن بهذا الاسم فإنه يصرف الأمور إلى الله فيؤمن به ويتوكل عليه ويثق به؛لأنه الأول الذي جاد بالأسباب ،ولا يلتفت بقلبه إلى غيره طرفة عين؛لأنه وإن كان يباشره إلا أنه يعلم كونه سببا وأن الله هو الذي تفضل به وأحسن بإيصاله إليه.والله هو الآخر:فمن أيقن بذلك لن يركن إلى الأسباب؛فإنها تنعدم لا محالة،ولذا سيجعل الله غايته؛ لأنه تعالى نهاية كل شيء،(وأن إلى ربك المنتهى)[النجم ٤٢].

الاتصاف بموجب الاسم والصفة

وإن من التعبد بالأسماء والصفات الاتصاف بموجب الاسم والصفة،قال ابن القيم:" وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته،فهو عليم يحب كل عليم،جواد يحب كل جواد ،وتر يحب الوتر،جميل يحب الجمال،عفو يحب العفو وأهله، حيي يحب الحياء وأهله،بر يحب الأبرار ،شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين ،حليم يحب أهل الحلم"[٣٢].

---

(٢٩) انظر طريق الهجرتين (٥١).

(٣٠) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١٣٤/٤).

(٣١) الرد على المريسي (١٣).

(٣٢) مدارج السالكين(٤٥٣/١)،وانظر روضة المحبين(٦٤).

غير أن الاتصاف بموجب أسماء الله تعالى مقيد بشرط،وهو أن بعض أسماء الله تعالى هي كمال في حقه جل وعلا ولكنها نقص وذم في حق المخلوق فهذه لا يجوز الاتصاف بموجبها،ولذا كان الشرط المقيد لإطلاق ما ذكرنا هو ألا يكون الوصف مما يختص به الرب تعالى،كاسم الله الجبار فإنه كمال في حقه نقص في حق العبد فلا يجوز أن يتصف العبد بموجبه،قال ابن القيم:"وأما المخلوق فاتصافه بالجبار ذم ونقص كما قال تعالى: (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)[غافر ٣٥]،وقال تعالى لرسوله ﷺ :(وما أنت عليهم بجبار)[ق ٤٥]"[٣٣].

(٣٣) شفاء العليل(١/٣١٢).

مراتب التعبد بالأسماء والصفات

أما مراتب التعبد فهي درجات بحسب إيقان العبد بالله وخضوعه له وذله بين يديه،وبحسب إيمانه بأسمائه وصفاته وما يفتح له فيها من مشاهد الإيمان ومراسم الإحسان،فمن الناس من يأخذ من ذلك ببصيص نور ،ومن الناس من يأخذ كالشمعة،ومن الناس من يأخذ كالقنديل،ومنهم من هو أعلى من ذلك،ومنهم من يلامس عنان السماء فنوره يشع بين الخافقين،(هم درجات عند الله)[آل عمران ١٦٣]،و(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[الجمعة ٤].

قال سبحانه:(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به)[الحديد ٢٨] قال ابن القيم رحمه الله:" فيكشف لقلب المؤمن في ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الأعلى مستويا على عرش الإيمان في قلب العبد المؤمن ،فيشهد بقلبه ربا عظيما قاهرا قادرا أكبر من كل شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، السماوات السبع قبضة إحدى يديه ،والأرضون السبع قبضة اليد الأخرى، يمسك السماوات على أصبع ، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك ،فالسماوات السبع في كفه كخردلة في كف العبد يحيط ولا يحاط به،ويحصر خلقه ولا يحصرونه ويدركهم ولا يدركونه..) .[٣٤].

وأكمل الناس في هذا الباب من تعبد الله بجميع أسمائه وصفاته ونال قصب السبق في عبودية الله تعالى بها،وهذه منزلة تحقيق العبودية بالأسماء والصفات،قال ابن القيم:"أكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم،أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع،أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم.." .[٣٥].

---

(٣٤) المرجع السابق (١/٢٧٨.٢٨١).

(٣٥) مدارج السالكين(١/٤٥٢).

طرق الوصول إلى التعبد بالأسماء والصفات

إن الوصول إلى التعبد بالأسماء والصفات طرقا كثيرة،غير أن مجامع هذه الطرق وأصولها أربعة،وهي:

الطريق الأول: (التأمل في الأسماء والصفات،وفهم معانيها والتدبر فيها):

وهذا ما أرشد إليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته:"إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة"[٣٦].

وإحصاء الأسماء إنما يكون بإحصاء ألفاظها وعددها وتفهم معانيها ومدلولاتها وبالدعاء بها بنوعي الدعاء دعاء المسألة والثناء ودعاء التعبد.قال أبو نعيم الأصبهاني:"الإحصاء المذكور في الحديث ليس هو التعداد ،وإنما هو العمل والتعقل بمعاني الأسماء والإيمان بها"[٣٧].

وما قاله رحمه الله هو لب الإحصاء غير أن الإحصاء شامل لتعداد الأسماء وما يلحق ذلك من الإيمان والعمل،وما يقوم الإنسان بالإيمان والعمل بالأسماء على التحقيق والمشاهدة إلا عبر قنطرة التعداد والعلم بالمعنى،فالعلم بهما وسيلة إلى التعبد.

وقال ابن تيمية:"وإذا كان كذلك فمن كان بماله من الأسماء والصفات أعلم وأعرف كان بالله أعلم وأعرف"[٣٨].

وإن لكل اسم من أسماء الله أسرارا عظيمة ومعاني بديعة يطلع الله ما شاء منها على من شاء من عباده،قال أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري:"في كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفي"[٣٩].

(التأمل في اسم الله الجبار)

ولو ضربنا لذلك مثالا: فمن أسماء الله تعالى الجبار،وله معان[٤٠] :

أولا:جبر القوة:وهذا يثمر في قلب العبد الخوف والخشية والذل والخضوع،فإذا راودته نفسه

---

(٣٦) رواه البخاري(٧٣٩٢)ومسلم(٢٦٧٧).

(٣٧) فتح الباري (٢٢٦/١١).

(٣٨) مجموع الفتاوى(٥٧٤/٧).

(٣٩) ذيل طبقات الحنابلة (٥٨/٣).

(٤٠) انظر الحق الواضح المبين(٢٥١).

على الجنوح والعصيان تذكر أن الله هو الجبار الذي قهر بجبروته كل جبار من جبابرة الدنيا فأحجم عن العصيان وأذعن للواحد الديان،ومن تأمل ذلك أيضا أثمر في خلقه التواضع لعباد الله وخفض الجناح لهم.

ثانيا:جبر الرحمة:وهذا يثمر في القلب حبا وإقبالا والتفاتا بالقلب إلى الله تعالى،وإذا أصاب العبد كسر اتجه إلى الله بقلبه فإنه جابر كسر قلوب عباده سبحانه.

ثالثا:جبر العلو:وهذا يثمر في القلب تعظيم الله تعالى.

رابعا:جبر الكبر:أي هو المتكبر عن كل سوء ونقص وعن مماثلة أحد،وهذا يوجب على العبد إفراد الله تعالى بالعبادة ،وأن يتعبده سبحانه بالحمد؛لأنه مستحقه،ويثمر أيضا في القلب محبة من له الكمال المطلق سبحانه وتعالى.

(التأمل في صفة العلو):

فمن شهد مشهد علو الله على خلقه وفوقيته لعباده واستواءه على عرشه كما أخبر به أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه مناجيا له مطرقا واقفا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز ،فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك..

(التأمل في صفة العلم):

وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال ،بل أحاط بذلك علمه علما تفصيليا، ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية له بادية لا يخفى عليه منها شيء.

(التأمل في صفة السمع):

وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، لا يشغله جهر من جهر عن سمعه لصوت من

أسر، ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة.

(التأمل في اسم الله البصير):

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها ،ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل ،وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاتها وسكناتها ،وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

(التأمل في صفة القيومية):

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال ،وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس،وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن إليه وجزاء المسيء إليه،وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ،ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ،لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يضل ولا ينسى، وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين وهو مشهد الربوبية.

(التأمل في اسم الجلالة الله):

وأعلى منه مشهد الإلهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء ،وهو شهادة أن لا إله إلا هو، وأن إلهية ما سواه باطل ومحال كما أن ربوبية ما سواه كذلك، فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد ويصلى له ويسجد ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاع وحده على الحقيقة والمألوه وحده ،وله الحكم وحده فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها،وكل غنى لغيره فقر وضلال،وكل عز بغيره ذل وصغار . فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء وهو مشهد جامع للأسماء والصفات، وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات ،ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جلاله ،فإن هذا الاسم هو الجامع، ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه ،فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن قال الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى)[الأعراف ١٨٠] فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها ،وكل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته، فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام

بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب بكمال الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية فقد تم له غناه بالإله الحق وصار من أغنى العباد"[٤١].

الطريق الثاني:التأمل في مفعولات الله وآياته الكونية:

وهذا باب عظيم من النظر حث عليه الرب الكريم في قوله سبحانه:(قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)[يونس ١٠١]،(أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء)[الأعراف ١٨٥].

وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: (تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله)[٤٢]. قال ابن القيم:"والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان نظر إليها بالبصر الظاهر،فيرى مثلا زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها،وهذا نظر يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات،وليس هو المقصود بالأمر، الثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها،ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن،فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته،ويرى السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقه ملقاة بأرض فلاة،ويرى الملائكة حافين من حوله لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير،والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين،وإعزاز قوم وإذلال آخرين،وإسعاد قوم وشقاوة آخرين.. فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقا لهيبته خاشعا لعظمته عان لعزته فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها

---

(٤١) طريق الهجرتين(٨٥.٨٢)،وما بين المعكوفين زيادة مني،وانظر لـ(المنان،وصفة القرب)منه(٤٧،٥٤)وابن القيم قد نثر كلامه في التعبد بالأسماء والصفات في كثير من كتبه فقلما تجد كتابا إلا وفيه إشارة إلى كثير أو قليل في هذا الباب،ومن العلماء الذين اعتنوا بهذا الباب أيضا العز بن عبد السلام فقد أفاض في الحديث عن التعبد بجملة من الصفات التي يرى هو ثبوتها،وعقد لها بابين في كتابه الرائع شجرة المعارف والأحوال (٤٥.١٧)وتحدث عن ذلك بشيء من الإيجاز في كتابه قواعد الأحكام(٢/١٨٠.١٨١)غير أنه ينبغي ملاحظة أمرين:أحدهما أنه يسمي ذلك تخلقا،وقد نقلت في المقدمة كلام ابن القيم حول ذلك وأن الأولى تسميته تعبدا وأولى منه دعاء ،وثانيهما أن العز رحمه الله نهج في كتابه نهج الأشاعرة في إثبات الصفات.

(٤٢) رواه الطبراني في الأوسط(٦٣١٥)وغيره،وحسنه الألباني لشواهده في السلسلة الصحيحة (١٧٨٨)وانظر كشف الخفاء(١٠٠٥).

إلى يوم المزيد فهذا سفر القلب،وهو في وطنه وداره ومحل ملكه،وهذا من اعظم آيات الله وعجائب صنعه، فياله من سفر ما أبركه وأروحه واعظم ثمرته وربحه وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح ومفتاح السعادة وغنيمة العقول والألباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب"[٤٣].

(التأمل في الكون وما فيه)

ولو تأملت أيها الأخ الحبيب هذا الكون العظيم بما فيه من عجائب مخلوقات الله لعلمت من أنت ولعلمت عظمة الله عز وجل ،فانظر وفقك الله إلى السماء وسعتها وعظيم جرمها وضخامتها،ثم هي ليست سماء واحدة بل سبع سماوات وما بين كل سماء والأخرى مسيرة خمسمئة عام، وكثف كل سماء مسيرة خمسمئة عام[٤٤]،وهذه الأرض انظر إلى سعتها وانبساطها،ثم سألت نفسك بعد ذلك ما هذه السماوات والأرض في ملك الله؟،قال ابن عباس:"ما السماوات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم"[٤٥] .

وما هذه السماوات والأرض في كرسي الرحمن؟،(وسع كرسيه السماوات والأرض)[البقرة ٢٥٥]، و(لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[غافر ٥٧] .ولما قال موسى عليه السلام: (رب أرني أنظر إليك) ،قال الله تعالى : (لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا)[الأعراف ١٤٣]،قال ابن عباس:"ما تجلى منه إلا كقدر الخنصر"،ولما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية قال بيده هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر،ثم قال : (فساخ الجبل)[٤٦].فهذا الجبل العظيم لم يستقر مع ضخامته أمام قوة الله عز وجل فكيف بك أنت؟!.

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

---

(٤٣) مفتاح دار السعادة(١/١٩٩)وانظر الفوائد(٤٤)ولابن القيم كلام رائق جميل في مدارج السالكين(٣/٣٧٠.٣٧٢).

(٤٤) جاء هذا في رواية فيها مقال من حديث الأوعال رواها الإمام أحمد(١/٢٠٦)،وفي صحة الحديث عموما خلاف مشهور ليس هذا موضع بسطه.

(٤٥) رواه الطبري(١٠/٢٤/٣٠٢١٢).

(٤٦) رواه الترمذي(٣٠٧٤)وصححه ابن القيم في مدارج السالكين(٣/١٠٤)والألباني في صحيح سنن الترمذي(٢٤٥٨).

تـشير بإثبـات الصفات لربهـا فصامتها يهدي ومن هو قائـل

(التأمل في الملائكة)

ولو تجاوزت هذه المخلوقات المرئية إلى المخلوقات التي أخبر عنها الشرع لرأيت عجبا،فهذا جبريل عليه السلام له ستمئة جناح،الجناح الواحد منها يسد ما بين الأفق،وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم قد سد بعظيم خلقه ما بين السماوات والأرض[٤٧]،وقد روي أنه حمل بجناحه قرى سدوم وفيها مئات الآلاف حتى حاذى بهم السماء ثم أكبهم على وجوههم .[٤٨].ومع هذه العظمة فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله)[٤٩].

وفي الحديث : (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمئة عام)[٥٠].ومع هذا فإن الملائكة الكرام:(لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون،يسبحون الليل والنهار لا يفترون)[الأنبياء ١٩-٢٠]،(يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون)[فصلت ٣٨] .

وإن من تأمل هذا علم قوة الله وعظمته وجلاله وغناه عن خلقه فله وحده الكبرياء والعظمة،ولا شك أن ذلك يثمر في القلب الخوف من الله ومراقبته في الأوامر والنواهي،كما يفيض على القلب رهبة وخشوعا وخضوعا تزدان به عبادة المرء،وإذا كان هذا هو حال السماوات والأرض والجبال وحال الملائكة مع قوتهم وعظيم خلقهم فكيف بالعبد الضعيف؟.

---

(٤٧) انظر صحيح البخاري(٤٨٥٦-٤٨٥٨)وصحيح مسلم(١٧٧)ومسند أحمد(١/٤٠٧،٣٩٥).

(٤٨) انظر: جامع البيان(٧/٩٦/١٨٤٧٨)وانظر الجامع لأحكام القرآن(٩/٨١)تفسير القرآن العظيم(٢/٤٧١).

(٤٩) رواه الطبراني في الأوسط(٤٦٧٦)،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(١/٨٣) في الأوسط ورجاله رجال الصحيح،وصححه الألباني في السلسة الصحيحة(٢٢٨٩)والحلس:بكسر الحاء،كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج،وقيل ما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع.انظر لسان العرب(٣/٢٨٢)القاموس(٦٩٤).

(٥٠) رواه أبو داود(٤٧٢٧)وقال الحافظ في فتح الباري(٨/٦٦٥):" إسناده على شرط الصحيح "،وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود(٣٩٥٣).

الطريق الثالث:التأمل في نعم الله ومنته على العبد:

قال ابن القيم:" فهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبته سبحانه وتعالى، فإن نعمته على عباده مشهودة لهم يتقلبون فيها على عدد الأنفاس واللحظات،وقد روي في بعض الأحاديث مرفوعا:(أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله)[٥١]، فهذه محبة تنشأ من مطالعة المنن ورؤية النعم والآلاء .

وإذا تأمل العبد نعم الله عليه أوصله ذلك إلى أن يتعبد بأسماء الله البر والمحسن والكريم ونحوها من الأسماء الدالة على لطف الله وكرمه وبره بعبده،فيتعبد الله بما تقتضيه تلك الأسماء من الحياء والحب لله والاتصاف بموجب هذه الأسماء الكريمة.

(التأمل في بعض نعم الله على النفس)

ولو نظرت إلى نفسك فتأملت النعم التي حباك الله بها في داخلة نفسك لرأيت عجبا ولأوصلك ذلك إلى تعظيم الخالق جل وعلا:

. فالتأمل فيما في نفسك من نظام دقيق وعمل فريد،فهذه أعضاؤك تعمل ليل نهار دون كلل أو ملل ودون زيادة أو نقصان،ولو تغير شيء منها قيد أنملة لأثر ذلك عليك إن ذلك ليدل على الإحكام والإتقان في الصنع ولهو من أعظم البراهين على الحكمة الربانية والعلم التام المحيط.والتأمل في تلك الفضلة التي تخرج منك وأنت أحوج ما تكون إلى إخراجها ولا يمكنك ولو استنجدت بالثقلين إخراجها لو استعصى خروجها أو إبقائها لو اندفعت لخروجها،إن التأمل في ذلك ليوصل العبد إلى الإيقان بضعفه وذله لخالقه وإلى الإيقان بقوة الله واستغنائه عن غيره.

الطريق الرابع:النظر في الآيات الشرعية والأحكام الربانية:

والقرآن الكريم كتاب الله ،وقد تجلى الله تعالى فيه لعباده بصفاته[٥٢]،فمن تأمل كتاب الله ساقه إلى الله،وعرفه عظيم فضله وكمال صفاته وجمال أفعاله،وهذا الطريق من أعظم الطرق الموصلة إلى التعبد وأكملها،وقد حث على ذلك القرآن الكريم حينما أمر بالتدبر عموما:(أفلا يتدبرون القرآن)[النساء ٨٢]،(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته)[ص

---

(٥١) رواه الترمذي(٣٧٨٩)وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي(٧٩٢).

(٥٢) انظر الفوائد(٩٩)،وانظر لهذا الطريق منه (٢٠٩،٤٤).

٢٩]، كما أنه حث على ذلك على جهة الخصوص في قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)[الأعراف١٨٠]،قال ابن القيم عن التعبد بالأسماء والصفات:"وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله،وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن قال الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)[الأعراف١٨٠]والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء ودعاء التعبد،وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها "[٥٣].

وإن تدبر القرآن وتفهم معانيه واستقاء هذه المعاني العظيمة منه لهو أعظم ما نزل القرآن لأجله،ولهو خير من الاشتغال بغيره من العلوم التي هي أقل منه شأنا وفضلا،بل وقد تكون حاجبة للعبد عن حقائق القرآن كالاشتغال بالوسوسة في مخارج الحروف وتتبع وجوه الإعراب واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي بالألغاز أشبه منها بالبيان[٥٤].

(أمثلة على التأمل في الآيات الشرعية والأحاديث النبوية)

ولك أيها الأخ الكريم أن تتأمل هذه الآيات والأحاديث لترى أثرها في قلبك:

ـ انظر إلى صبر الله وحلمه وعفوه عن العباد مع كمال علمه وقوته واقتداره في مثل قوله تعالى:(وقالوا اتخذا الرحمن ولدا،لقد جئتم شيئا إدا،تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا،وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا،إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا،لقد أحصاهم وعدهم عدا،وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)[مريم ٨٨ـ٩٥]،وفي الحديث: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم)[٥٥].

انظر إلى عظمة الله وقيوميته وجماله في قوله صلى الله عليه وسلم:(إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار

---

(٥٣) مدارج السالكين(١/٤٥٢).

(٥٤) انظر دقائق التفسير(٥/٧٠٦) مجموع الفتاوى(١٦/٥٠).

(٥٥) رواه البخاري(٧٣٧٨)ومسلم(٢٨٠٤)وقد أطال ابن القيم في الحديث عن اسم الله الصبور وجعله من جملة الأسماء .انظر عدة الصابرين(٢٧٦).

قبل عمل الليل ،حجابه النور . وفي رواية النار . لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[٥٦].

قال العز بن عبد السلام:"إذا في صواحب يوسف بن يعقوب بملاحظة جماله،فما الظن بملاحظة جمال مقلب القلوب وعلام الغيوب"[٥٧].

انظر إلى علمه وإحاطته بكل شيء في قوله تعالى: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)[الأنعام ٥٩]،وقوله تعالى: (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير)[لقمان ١٦]

عليم فلا يخفى عليه من الورى ولو غاب في شبر من الأرض خردل

قال الإمام أحمد:"وهو يعلم ما في السماوات السبع والأرضين السبع وما بينهما،وما تحت الثري،وما في قعر البحار،ومنبت كل شجرة وكل زرع وكل نبات،ومسقط كل ورقة وعدد ذلك،وعدد الحصى والرمل والتراب،ومثاقيل الجبال ،وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم،ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء،وهو على العرش فوق السماء السابعة)[٥٨].

ومن تمام علمه وإحاطته أن حوى سمعه كل شيء،قالت عائشة: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول فأنزل الله: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)[المجادلة ١]"[٥٩].

([٥٦]) رواه مسلم(١٧٩)،وانظر كلاما جميلا لابن القيم في الجمال الإلهي في الفوائد(٢٢١)،وقوله: (سبحات وجهه) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن في الرسائل والمسائل المفيدة(جمع الشيخ سليمان بن سحمان ١٠١): "وأما السبحات فهي نور الذات المقدسة العلية"،ثم قال"وإذا فسرت السبحات بنور وجهه الكريم جازت الاستعاذة بها؛لأنها وصف ذات"،وانظر منه (١١٤).

([٥٧]) شجرة المعارف والأحوال(٤٤).

([٥٨]) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة(٢٨٤/١)نقلا عن صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة للسقاف(١٨٥.١٨٦).

([٥٩]) هذا لفظ ابن ماجه(١٨٨)وعلقه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب(٩)مجزوما به،ورواه أحمد(٤٦/٦)والنسائي(٣٤٦٠)وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه(١٥٥).

ومنه أن حوى بصره كل شيء،فلا يخفى عليه شيء:

يا من يرى مَدّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الألْيَلِ

ويرى نياط عروقها في مخهـــــا والمخ في تلك العظام النُّحَّـلِ

(أمثلة على التأمل في الأحكام الشرعية)

أما الأحكام الشرعية فإن التأمل فيها من أعظم ما يعين الناظر على إدراك معاني الأسماء والصفات والتعبد لله تعالى بها،وهذا ميدان واسع،وبستان قد امتلأ بأطايب الثمر،ولذا لا يدرك له قرار،ولا يمكن أن يحاط بسياج،بل هو فتوحات إلهية لمن بصره الله بدينه،يفهمها الله من يشاء من عباده،غير أن مما يفتح لك الطريق تكرار النظر مع التسليم التام،وهاك ـ وفقك الله ـ شذرات تكفي اللبيب لفهم المراد،فمن ذلك:

ـ أن من تأمل الصلاة،وما فيها من المعاني العظيمة كتعويد النفس البشرية على الخضوع والانقياد، وملاحظة جلال الله وعظمته، وانشرح الصدر وطمأنينته بقربه إلى الله،وما فيها عند أدائها جماعة من تحقيق الأخوة والتقارب بين المؤمنين ،وتوثيق المساواة وعدم التمايز إلا بالتقوى، فإن ذلك يوصله إلى حكمة الله وكمال شرعه.

وهكذا إذا تأمل الزكاة،وما فيها من تعويد النفس على الامتثال والانقياد والبذل والعطاء،وتطهير النفس من عبودية المال،وتحقيق أواصر التضامن والتآلف والتراحم بين المؤمنين،فإنه يصل إلى عدل الله وحكمته ورحمته بخلقه أن شرع لهم ما يكفل لهم مصالحهم ويقيم لهم دينهم ودنياهم.

آثار التعبد بالأسماء والصفات

هذه إشارة موجزة إلى بعض تلك الآثار :

أولا :محبّة الله : من تأمل أسماء الله وصفاته وتعلق قلبه بها طرحه ذلك على باب المحبة،وفتح له من المعارف والعلوم أمورا لا يعبر عنها[٦٠]، وإن من عرف الله أورثه ذلك المحبة له سبحانه وتعالى،قال ابن الجوزي:"فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالأدلة،ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة لعل ذلك يورث المحبة...فذلك الغنى الأكبر،ووافقراه"[٦١].

ومراده أن من عرف الله أحبه، ومن أحب الله أحبه الله،وذلك والله هو الفوز العظيم والجنة والنعيم،والمحبة هي المنزلة التي "فيها تنافس المتنافسون،وإليها شخص العاملون وإلى عَلَمها شمر السابقون،وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون ،فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون،وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات .." [٦٢].

حبّ الله هو الفطرة :وحب الله هو فطرة القلب التي فطر عليها،قال ابن تيمية:" والقلب إنما خلق لأجل حب الله تعالى، وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة،فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسّانه،كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)، ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه: اقرأوا إن شئتم: (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)[الروم ٣٠]أخرجه البخاري ومسلم . [٦٣].

قال ابن القيّم رحمه الله :"فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه ،وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده، فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانا منه سبحانه وتعالى، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعه سبحانه وتعالى،وهو الذي لا يحد كماله ولا يوصف جلاله وجماله،ولا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله، بل هو كما أثنى على

---

(٦٠) انظر مفتاح دار السعادة(١/٢٨٦).

(٦١) صيد الخاطر(٧٠).

(٦٢) مدارج السالكين(٣/٧.٦) .

(٦٣) مجموع الفتاوى(١٠/١٣٤.١٣٥)والحديث في البخاري (١٣٥٨)ومسلم(٢٦٥٨).

نفسه وإذا كان الكمال محبوبا لذاته ونفسه وجب أن يكون الله هو المحبوب لذاته وصفاته؛إذ لا شيء أكمل منه، وكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته وأفعاله دالة عليها ،فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وعلى كل ما أمر" . [٦٤].

(سرور القلب بمحبة الله)

وإذا ثمر العبد إلى تلك المنزلة ورام الوصول إليها وعرف الله بأسمائه وصفاته التفت القلب إلى الله وخلى عن كل ما عداه ف "لم يكن شيء أحب إليه منه،ولم تبق له رغبة فيما سواه إلا فيما يقربه إليه ويعينه على سفره إليه"[٦٥].

وقال ابن تيمية: "وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه،ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه،وهذا حقيقة لا إله إلا الله"[٦٦].

(محبة الله باعث التوحيد والطاعة)

ولذا كانت محبة الله مقتضية لعدم التشريك بينه وبين غيره فهي باعث التوحيد،ألا ترى أن القلب له وجه واحد: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)[الأحزاب ٤]،فإذا مال إلى جهة لم يمل إلى غيرها،وليس لأحد قلبان يوحد بأحدهما ويشرك بالآخر[٦٧].

قال صديق حسن:"محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب،وصارت النفس حينئذ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها،يا هذا اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه"،وقال:"من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادة النفس والهوى"[٦٨].

وإياك أن يخلو قلبك من الحب لله تعالى أو أن تملئه من محبة غيره فإن الله تعالى يغار على قلب عبده أن يكون معرضا عن حبه،فالله تعالى خلقك لنفسه واختارك من بين خلقه،ولتعلم

---

(٦٤) طريق الهجرتين (٥٢٠.٥٢١).

(٦٥) روضة المحبين(٤٠٦).

(٦٦) مجموع الفتاوى(٣٢/٢٨).

(٦٧) انظر : روضة المحبين(٢٩٥).

(٦٨) الدين الخالص(١٦٧/١).

أن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرا سلط على قلبه إذا أعرض عنه واشتغل بحب غيره أنواع العذاب حتى يرجع قلبه إليه وإذا اشتغلت جوارحه بغير طاعته ابتلاها بأنواع البلاء[٦٩].

ثانيا: الذل والتعظيم

من تحقق بمعاني الأسماء والصفات شهد قلبه عظمة الله تعالى فأفاض على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار.

(سجود القلب)

ولا شك أن تمام العبودية لا يتم إلا بتمام الذل والانقياد لله،وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلا وافتقارا وخضوعا بحيث يحصل للقلب انكسار خاص لا يشبهه شيء فهو يرى حينئذ أنه لا يصلح للانتفاع إلا بجبر جديد من خالقه وربه ومولاه ،وحينئذ يستكثر القليل من الخير على نفسه كأنه لا يستحقه، ويستكثر قليل معاصيه لعظمة الله تعالى في قلبه،وذلك هو سجود القلب،سئل بعض العارفين أيسجد القلب؟قال نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء.

ومن سجد هذه السجدة سجدت معه جميع جوارحه،وعنا الوجه للحي القيوم،ووضع خده على عتبة العبودية التي يقول عنها ابن تيمية:"من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية".

وإذا تأمل العبد وشهد بقلبه" الرب تبارك وتعالى مستويا على عرشه متكلما بأمره ونهيه،بصيرا بحركات العالم علويه وسفليه وأشخاصه وذواته،سميعا لأصواتهم، رقيبا على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره نازل من عنده وصاعد إليه، وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك، موصوفا بصفات الكمال ،منعوتا بنعوت الجلال، منزها عن العيوب والنقائص والمثال ،هو كما وصف نفسه في كتابه وفوق ما يصفه به خلقه، حي لا يموت ،قيوم لا ينام، عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، بصير يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ،سميع يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات" . [٧٠].

([٦٩]) انظر روضة المحبين(٣١٠).

([٧٠]) مدارج السالكين(١/١٤٠).

وإذا تأمل العبد ذلك ألا يدعوه إلى تعظيم الخالق العظيم،فلا يستصغر في حقه معصية قط مهما صغرت،ولا يستعظم في حقه طاعة قط مهما عظمت.

ثالثا:الخشية والهيبة

قال ابن القيم:"كلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه،كما قال الله تعالى:(إنما يخشى الله من عباده العلماء)[فاطر ٢٨] أي العلماء به،وقال النبي صلى الله عليه وسلم :(أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية)[٧١]"[٧٢].

وفي قول تعالى :(إنما يخشى الله من عباده العلماء) يقول البحر ابن عباس في معنى الآية:"إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني"[٧٣]. وقال ابن كثير:"إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر"[٧٤].

وقال ابن القيّم رحمه الله:" إن من عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة،وهابه كل شيء،وذهب عنه خوف المخلوقين،وأنس بالله وحده[٧٥].

رابعا:اليقين والسكينة والطمأنينة

من عبد الله بأسمائه وصفاته وتحقق من معرفة خالقه جل وعلا ،وعظمه حق تعظيمه فإنه ولا شك يصل إلى درجة اليقين.قال ابن القيم:"فاليقين هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته ونعوت كماله وتوحيده"[٧٦].

وباليقين مع الصبر تنال الإمامة في الدين،قال تعالى:(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)[السجدة ٢٤]. وتلك المنزلة العالية الرفيعة هي روح أعمال

---

(٧١) الحديث في البخاري(٦١٠١)ومسلم(٢٣٥٦) بلفظ: (إني لأعلمهم بالله،وأشدهم له خشية)،وانظر فتح الباري(٧٠/١)كشف الخفاء(٦٠٧).

(٧٢) روضة المحبين(٤٠٦).

(٧٣) زاد المسير(٤٨٦/٦).

(٧٤) تفسير القرآن العظيم(٥٦١/٣).

(٧٥) لاحظ روضة المحبين(٤٠٦).

(٧٦) مدارج السالكين(٤١٩/٢.٤٢٠)وانظر لليقين منه(٤١٣/١ وما بعدها).

القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح،وهو حقيقة الصديقية، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وغم وامتلأ محبة لله وخوفا منه ورضى به وشكرا له وتوكلا عليه وإنابة إليه .

وإذا تيقن القلب نزلت السكينة،وهي الطمأنينة والسكون الذي ينزل في القلب عند اشتداد المخاوف والبلاء،فيزداد ذلك القلب إيمانا وثباتا،ويكسو الجوارح خشوعا ووقارا،ويضفي على اللسان حكمة وصوابا(٧٧).

خامسا:الرضا.

والرضا من ثمرات المعرفة بالله،فمن عرف الله بعدله وحلمه وحكمته ولطفه أثمر ذلك في قلبه الرضا بحكم الله وقدره في شرعه وكونه فلا يعترض على أمره ونهيه ولا على قضائه وقدره،بل تراه:"قد يجري في ضمن القضاء مرارات يجد بعض طعمها الراضي ،أما العارف فتقل عنده المرارات لقوة حلاوة المعرفة،فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة صارت مرارة الأقدار حلاوة . (٧٨).

وقد كان من سؤال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (أسألك الرضا بعد القضاء)(٧٩).

وإنما يرضى المؤمن العارف بأسماء الله وصفاته بحكم الله وقضائه ؛لأنه يعلم أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه،وأنه تعالى أعلم بمصلحته من نفسه،وأرحم به من نفسه،وأبر به من نفسه،ولذا تراه يرضى ويسلم،بل إنه يرى أن هذه الأحكام القدرية الكونية أو الشرعية إنما هي رحمة وحكمة،وحينئذ لا تراه يعترض على شيء منها،بل لسان حاله:رضيت بالله ربا،وبالإسلام دينا،وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا،وذلك والله محض الإيمان.

سادسا:التوكل

إن من أجل ما يثمره التعبد بالأسماء والصفات أن يعتمد القلب على الله ويخلص في تفويض أمره إليه،وذلك حقيقة التوكل على الله.

والتوكل من أعظم العبادات تعلقا بالأسماء والصفات،ذلك أن مبناه على أصلين عظيمين:

---

(٧٧) انظر مدارج السالكين(٢/٥٢٥-٥٢٧).

(٧٨) صيد الخاطر(٦٩).

(٧٩) رواه النسائي(١٣٠٥)وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي(١٢٣٧).

الأول:علم القلب،وهو يقينه بعلم الله وكفايته وكمال قيامه بشأن خلقه،فهو القيوم سبحانه الذي كفى عباده شئونهم فبه يقومون وله يصمدون.

والثاني:عمل القلب،وهو سكونه إلى العظيم الفعال لما يريد وطمأنينته إليه وتفويض أمره إليه ورضاه وتسليمه بتصرفه وفعله؛إذ كل شيء يمضي ويكون فبحكمه وحكمته وقدره وعلمه، لا ينفذ شيء في الأرض و لا في السماء عن قدرته ،فله الحكم كله ،وإليه يرجع الأمر كله[٨٠].

ومتى ما أخلص القلب ذلك لله علما وعملا كان من سابقي المتوكلين وصادقي المفوضين والمستسلمين،وإنه والله لغاية الأنس والعز أن يعتمد الإنسان في جميع أمره وشأنه على الله تعالى.

سابعا:الدعاء

إن من تأمل وتعبد بالأسماء والصفات لا يقتصر على مجرد الدعاء،بل سيفيض عليه ذلك الأمر حضور القلب وجميعه على الله تعالى ؛فيرفع يديه ملحا على الله بالدعاء والسؤال والطلب والرجاء.

وإنما كان الدعاء من أجل ثمرات العلم بالأسماء والصفات،وكان هو سلاح المؤمن، وميدان العارف، ونجوى المحب، وسلم الطالب ،وقرة عين المشتاق ،وملجأ المظلوم لما فيه من المعاني الإلهية العظيمة . ولذا قال ابن عقيل مبينا شيئا من هذه المعاني:"قد ندب الله تعالى إلى الدعاء،وفي ذلك معان:

أحدها:الوجود،فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني:الغنى،فإن الفقير لا يدعى.

الثالث:السمع،فإن الأصم لا يدعى.

الرابع:الكرم،فإن البخيل لا يدعى.

الخامس:الرحمة،فإن القاسي لا يدعى.

السادس:القدرة،فإن العاجز لا يدعى"[٨١].

ثامنا:الإخلاص

إن إدراك معاني الأسماء والصفات على التحقيق يحمل العبد على إفراد الله بالقصد والابتعاد عن صرف شيء من العبادة لغيره تعالى،ولذا كان من أعظم ما يخلِّص العبد من دنس الرياء

---

(٨٠) انظر طريق الهجرتين(٤٢٦).

(٨١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز(٦٧٨).

ملاحظة أسماء الله وصفاته،فمن لاحظ من أسماء الله الغني دفعه ذلك إلى الإخلاص لغنى الله تعالى عن عمله وفقره هو إلى الله عز وجل(قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[٨٢] ،ومن تأمل اسم الله العليم فإنه يعلم أن ما أخفاه عن أعين الناس من ملاحظة الخلق لا يخفى على الله لعلمه التام بكل شيء،ومن تأمل اسم الله الحفيظ حمله ذلك على ترك الرياء ؛لأن كل ما يفعله العبد محفوظ عليه سيوافى به يوم القيامة.

وإذا صنع ذلك كان عمله كله لله،فحبه لله،وبغضه لله،وقوله لله،ولحظه لله،وعطاؤه لله،ومنعه لله،فلا يريد من الناس جزاء أو شكورا،ولسان حاله:(إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)[الإنسان ٩].

وإن تقصير العبد في إخلاصه ووقوعه في الرياء أو قصد غير الله إنما هو بسبب جهله بأسماء الله وصفاته،ولذا قال ابن رجب:"ما تظاهر المرائي إلى الخلق بعمله إلا بجهله بعظمة الخالق"[٨٣].

تاسعا:التلذذ بالعبادة

إن من أعظم المنح الربانية منحة التلذذ بالعبادة،فإذا قام العبد بالعبادة وجد لها من اللذة كما يجد المتذوق طعم الحلاوة في فمه ووجد في قلبه من الأنس والانشراح والسعادة ما لا يجده في وقت آخر،وحينئذ تكون العبادة راحة نفسه وطرب قلبه فيكون لسان حاله أرحنا بالعبادة يا بلال،كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصلاة: (قم يا بلال فأرحنا بالصلاة)[٨٤]، فتكون الصلاة لما فيها من القرب لله والمناجاة له والتلذذ بكلامه والتذلل له والتعبد بأسمائه قرة العين وسلوة الفؤاد،ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)[٨٥].

---

(٨٢) رواه مسلم(٢٩٨٥).

(٨٣) تحقيق كلمة الإخلاص(ضمن مجموعة رسائل له ،ت:العزازي:٥٣).

(٨٤) رواه أبو داود(٤٩٨٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود(٤١٧٢).

(٨٥) رواه النسائي(٣٩٤٠)وأحمد(١٢٨/٣)وصححه ابن حجر في فتح الباري(٣/١١،١٥/٣٤٥)وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي(٣٦٨١)..

(خفة العبادة بسبب لذتها)

وبتحصيل هذه اللذة يخف ثقل العبادة على القلب،بل قد تزول تلك المشقة فتكون العبادة بردا وسلاما على القلب،قال الشاطبي:" والضرب الثاني شأنه أن لا يدخل عليه ذلك الملل ولا الكسل لوازع هو أشد من المشقة أو حاد يسهل به الصعب، أو لما له في العمل من المحبة ولما حصل له فيه من اللذة حتى خف عليه ما ثقل على غيره ،وصارت تلك المشقة في حقه غير مشقة بل يزيده كثرة العمل وكثرة العناء فيه نورا وراحة أو يحفظ عن تأثير ذلك المشوش في العمل بالنسبة إليه أو إلى غيره كما جاء في الحديث: (أرحنا بها يا بلال)"[٨٦].

(تأمُّلُ الأسماء والصفات طريق للذة العبادة)

وإذا تبين ذلك فإن من أعظم ما يحصل به لذة العبادة هو تأمل الأسماء والصفات وتعبد الله بها ومراعاتها في كل عبادة يأتي بها العبد أو يتركها،فإذا تصدق العبد بالقليل مستشعرا أن الله شكور لا يضيع عمله بل يبارك له فيه ولو كان قليلا كان ذلك مدخلا على قلبه الفرح والسرور بربه ووجد في قلبه حلاوة عظيمة لعمله.

ومن صلى لله تعالى متذكرا حينما قام لله صافا قدميه قيومية الله تعالى وأن الله قائم بذاته وعباده لا يقومون إلا به سبحانه وتعالى،ثم إذا كبر ورفع يديه استشعر أن الله أكبر من كل شيء،وشاهد كبرياء الله وعظمته وجلاله،ثم إذا قرأ دعاء الاستفتاح استشعر ما فيه من تنزيه الرب عن كل نقص،وإذا استعاذ وبسمل التجأ بقلبه إلى الركن الركين وتبرأ من كل حول واعتصم بالله من عدوه واستعان به لا بغيره،ثم إذا قرأ الفاتحة استشعر ما فيها من استحقاق الله لكل المحامد وألوهيته وربوبيته ورحمته بخلقه وملكه لكل شيء ،واستحضر أنه يناجي ربه وأن ربه يجيبه على مناجاته كما في الصحيح: (قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين) ،قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم)، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: (مالك يوم الدين)، قال:مجدني عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين)، قال هذا بيني وبين

([٨٦]) الموافقات(٢/٢٤٠)وحديثه عن أضرب الناس في تأثرهم من خوضهم في العمل الشاق،وانظر كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة(مع مجموعة رسائل لابن رجب ت:عادل العزازي ١٠٨).

عبدي ولعبدي ما سأل ،فإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم ،صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ،قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"[٨٧].

ثم تذكر عظمة الله وعلوه،وتذكر خضوعه وتذلله بين يدي ربه بركوعه وسجوده وانكساره ،وتأمل ذلك وهو يقول :سبحان ربي العظيم،سبحان ربي الأعلى،إذا صنع ذلك في صلاته كيف لا يصلي صلاة مودع،وكيف لا يتلذذ بصلاته وعبادته[٨٨].

([٨٧]) رواه مسلم(٣٩٥).

([٨٨]) انظر كتاب الصلاة لابن القيم(١٧١ وما بعدها).

مثال تطبيقي:التعبد باسم الله (الرحمن)

لاشك أن الرحمن من أسماء الله عز وجل وأدلته أظهر من أن تذكر،وهو من جملة الأسماء التي يرجع إليها جميع الأسماء والصفات؛إذ يرجع إلى هذا الاسم العظيم صفات الرحمة والإحسان والبر واللطف والمن والرأفة والجود[٨٩].

معنى اسم الله الرحمن:

الرحمن هو ذو الرحمة الواسعة الشاملة لكل شيء: (ورحمتي وسعت كل شيء)[طه ٥]،ولذا اقترن اسم الرحمن بالاستواء على العرش ؛لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها ورحمته شاملة لهم،فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات[٩٠].

التأمل في آيات الله وأفعاله الدالة على رحمته:

ومن تأمل في مخلوقات الله فإنه سيرى آثار الرحمن ظاهرة،فما من مخلوق في السماوات والأرض إلا ويمكن أن تصل عن طريق التأمل في حاله إلى معرفة رحمة الله بخلقه:

(رحمة الله في الكون والحيوان)

ـ انظر إلى السماء ألا تراها ممسوكة أن تقع ،وهذه الأرض لا تحيد ولا تميد،فمن الذي أمسكهما برحمته إلا الرحمن(إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا)[فاطر ٤١].وتأمل ختام الآية، فلولا رحمة الله بعباده حين لم يؤاخذهم بذنوبهم ،ولولا حلمه ومغفرته لأسقط عليهم السماء (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة)[فاطر ٤٥].

. ومن رحمته أن جعل الجبال أوتادا للأرض تثبتها فلا تضطرب(والجبال أوتادا)[النبأ ٧]،(والجبال أرساها)[النازعات ٣٢].

---

(٨٩) الأسماء التي يرجع إليها جميع الأسماء والصفات ثلاثة،وهي:الله،الرب،الرحمن،ومن العلماء من يعيدها إلى الله والرحمن،ومعلوم أن جميعها يرجع إلى لفظ الجلالة الله.انظر مجموع الفتاوى(٣٧٩/١)مدارج السالكين(١٣،٤٢/١)الفوائد(٤٣)فتح الباري(٥٧١/١٠).

(٩٠) انظر مدارج السالكين(٤٢/١)تفسير القرآن العظيم(٢٢/١)،وقيل الرحمن من الرحمة صفته،والرحيم الراحم لعباده فالاسم الأول للوصف والثاني للفعل،وقيل الرحمن ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، والرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة واستظهره الشنقيطي.انظر شأن الدعاء(٣٩.٣٥)بدائع الفوائد(٢٣/١)أضواء البيان(١٠٢/١).

. وهذه الشمس تبلغ حرارة سطحها (٦٠٠٠) درجة مئوية،وحرارة جوفها تبلغ(٢٠)مليون درجة مئوية،وألسنة اللهب ترتفع عن سطحها إلى نصف مليون كيلو متر،وهي تبتعد عن الأرض قريبا من (٩٣) مليون ميل،ولا يصل إلى الأرض من حرارتها إلا شيء قليل لا يتجاوز جزءا من مليون جزء من حرارتها،وهو القدر الملائم لحياة البشر،ولو كانت أقرب إلى الأرض بقليل لاحترقت الأرض وانصهرت أو استحالت بخارا يتصاعد إلى الفضاء،ولو كانت أبعد من ذلك لأصاب التجمد ما على سطح الأرض،،فمن الذي برحمته جعلها كذلك.

ـ والقمر في حجمه وبعده عن الأرض من أظهر ما يدل على رحمة الله،فلو كان أكبر من ذلك بقليل أو أقرب لكان المد الذي يحدث في البحار كافيا لغمر الأرض بطوفان يعم كل ما عليها[٩١].

. ومن رحمته أن كبير الوحش لا يعض صغيره، ويرفع قدمه عنه ،ويعطف عليه ،ويحضر طعامه وشرابه مع أنها وحوش كاسرة وحيوانات مفترسة،وفي الحديث: (إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس،والبهائم والهوام ،فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها ،وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)،وفي رواية(حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)[٩٢].

ـ ومن رحمته أن ترى الطير تسهر ليلها لتصطاد حتى إذا استيقظت أفراخها صباحا كان عندهن طعامهن،وفي الحديث عن ابن مسعود:كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تَفرش فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (من فجع هذه بولدها،ردوا ولدها إليها)[٩٣].

([٩١]) انظر مباحث في إعجاز القرآن لـ:د.مصطفى مسلم(١٩٥.١٩٧).

([٩٢]) رواه البخاري(٦٠٠٠)ومسلم(٢٧٥٢)واللفظ له،والحديث من باب التعبير باسم الصفة عن المفعول بها فيسمى المرحوم به رحمة ،ولذا في رواية لمسلم: (خلق الله مائة رحمة).انظر الجواب الصحيح(١٥٨/٢)درء تعارض العقل والنقل(٢٦١/٧.٢٦٢)مجموع الفتاوى(٢٢٨/٤).

([٩٣]) رواه أبو داود(٢٦٧٥)وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود(٤٣٨٨،٢٦٧٥)والسلسلة الصحيحة(٢٥) ،وفي النهاية في غريب الحديث(٤٣٩/١):"الحَّمرة بضم الحاء وتشديد الميم ،وقد تخفف:طائر صغير كالعصفور"،وفي معالم السنن(١٢٥/٣):"قوله(تفرش) أو (تعرش)معناه ترفرف،والتعريش مأخوذ من فرش الجناح وبسطه،والتعريش أن يرتفع فوقها ويظلل عليها".

(رحمة الله بالإنسان)

ـ وأما أنت أيها الإنسان:فمن الذي برحمته أوجدك،ولم تكن شيئا مذكورا: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا،إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)[الإنسان ٢.١]،ومن الذي كلأك برحمته وأنت في بطن أمك في ظلمات ثلاث لا حول لك ولا قوة ،يأتيك طعامك وشرابك وأنت في قرار مكين وحصن أمين.

ومن الذي برحمته سهل لك مخرجك،ثم رقق لك قلب أمك حتى تقبل عليك فتقبلك وتضمك بعد ذلك الجهد الجهيد الذي أصابها،ثم هداك لطعامك وشرابك ورقق لك قلب أبيك حتى سعى في تحصيل لقمتك وتسهيل معيشتك،وخلقك خلقة سوية ووهبك عقلا تدرك به محاسن أمورك ومساوئها،ثم أحاطك بنعمه ومننه وأرسل لك رسله ليرشدوك إلى نجاتك وسعادتك،وخصك برسول الهدى والرحمة صلى الله عليه وسلم .

ـ وإن من أعظم النعم أن هداك الله للإسلام ووفقك للإيمان دون سبب منك أو نسب، بل بفضل محض .. ثم إن الله تعالى أذن لك أن ترفع حوائجك إليه في أي وقت شئت، بل ورغبك في ذلك دون أن تستأذن حاجبا أو خادما ثم وعدك على ذلك بإجابة سؤالك وطلبك فأي رحمة أعظم من تلك الرحمة.

(رحمة الله بالعفو والتوبة)

ـ وإن من أعظم ما يبين رحمته بعباده أن فتح لهم بابه ووعدهم بالمغفرة والستر والتوبة،بل هاهو سبحانه ينادي عباده إليه : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا)[التحريم ٨]،(وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)[النور ٣١]وفي الصحيح(إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار،ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[٩٤]،وفي الحديث: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر،فيقول:من يدعوني فاستجيب له،من يسألني فأعطيه،من يستغفرني فاغفر له)[٩٥].

([٩٤]) رواه مسلم(٢٧٥٩).

([٩٥]) رواه البخاري(٧٤٩٤)ومسلم(٧٥٨).

بل ولو تكاثرت ذنوب العبد فإن الله يغفرها له ويتجاوز عنه(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)[الزمر ٥٣]،وفي الحديث القدسي:(يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)[٩٦].

(الفرح الإلهي)

يا عبد الله وهل أعظم رحمة وأجل رأفة من أن يفرح بتوبتك خالقك وسيدك مع غناه عنك وفقرك إليه،صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)[٩٧].

إن هذا الحديث لهو من أعظم ما يبين رحمة الله بعباده،ولا يظن ظان أن هذا الفرح فرح حاجة وافتقار، فالله تعالى له الغنى المطلق وهو الصمد القيوم الذي يقوم غيره به وهو القائم بنفسه سبحانه .

وإنما هذا الفرح فرح بر وإحسان ورحمة،قال ابن القيم:" وهذه فرحة إحسان وبر ولطف لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفع بها، وكذلك موالاته لعبده إحسانا إليه ومحبة له وبرا به لا يتكثر به من قلة، ولا يتعزز به من ذلة ،ولا ينتصر به من غلبة، ولا يعده لنائبة ،ولا يستعين به في أمر (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا)[الإسراء ١١١] فنفى أن يكون له ولي من الذل "[٩٨].

---

(٩٦) رواه الترمذي(٣٥٤٠)وقال:"حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"،وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي(٢٨٠٥).

(٩٧) رواه البخاري(٦٣٠٨)ومسلم(٢٧٤٧)واللفظ له.

(٩٨) مدارج السالكين(١/٢١٦.٢١٧)وانظر مفتاح دار السعادة(١/٢٨٦).

ومن رحمته أن وعد المسيء بتبديل سيئاته حسنات،قال تعالى: (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما)[الفرقان ٧٠].

ومن رحمته أنه لا يؤاخذك بمعاصيك،بل يكلؤك ويرعاك ويعفو عنك ويمهل أمرك،فأي رحمة أعظم من ذلك .

(حديث عظيم يبين رحمة الله)

ولك أن تقرأ هذا الحديث خاشعا مستشعرا ما فيه من عظيم الرحمة: عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة،فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين،فترفع له شجرة فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها ،فيقول الله عز وجل يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها،وربه يعذره؛ لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ،ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها ،فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها،فيقول لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره؛ لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ،ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين،فيقول أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ،فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره؛ لأنه يرى مالا صبر له عليها فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها، فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها، قال يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مم أضحك، فقالوا مم تضحك قال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

،فقالوا مم تضحك يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ،فيقول إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر)[٩٩].

آثار التعبد باسم الله الرحمن:

وإن من تأمل هذا الاسم الكريم أثمر ذلك في قلبه أمورا عظيمة،ومنها:

أولا: الحب:

فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وكيف لا يحب الإنسان من أفاض عليه رحمته وعطفه ومنته وفضله ومن هو أرحم به من أمه ،جاء في الصحيح أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تبتغى إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار)، قالوا :لا والله وهى تقدر على أن لا تطرح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لله أرحم بعباده من هذه بولدها)[١٠٠].

ثانيا:الرجاء وحسن الظن بالله:

قال العز بن عبد السلام:"من عرف سعة رحمة الله كان حاله الرجاء"[١٠١]،وفي الصحيح: (قال الله تعالى :أنا عند ظن عبدي بي)[١٠٢].

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل: (قال أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي،فقال تبارك وتعالى:أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب ،فقال أي رب اغفر لي ذنبي،فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب،ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي،فقال تبارك وتعالى:أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك)[١٠٣].وقد دخل حماد بن سلمة على الثوري،فقال

---

(٩٩) رواه مسلم(١٨٧)ورواه البخاري(٦٥٧١)مختصرا،وفي شرح النووي لمسلم(٣٧/٣):"(ما يصيرني منك):هو بفتح الباء وإسكان الصاد المهملة،ومعناه يقطع مسألتك مني،قال أهل اللغة:الصرى:بفتح الصاد وإسكان الراء هو القطع".

(١٠٠) رواه البخاري(٥٩٩٩)ومسلم(٢٧٥٤).

(١٠١) مختصر الفوائد في أحكام المقاصد(٢٠٤.٢٠٣)وانظر شجرة المعارف والأحوال(٨٣).

(١٠٢) رواه البخاري(٧٥٠٥)ومسلم(٢٦٧٥).

(١٠٣) رواه البخاري(٧٥٠٧)ومسلم(٢٧٥٨).

سفيان:أترى أن الله يغفر لمثلي،فقال حماد:والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله؛وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي.

ومما يزيد العبد تعلقا بربه وإحسانا الظن به أن الله تعالى يشكر عمل عبده مع قلته بل ويغفر لصاحبه بسببه،وفي الحديث: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له)،قالوا يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا ،فقال : (في كل كبد رطبة أجر)،وفي لفظ(أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها)[١٠٤].

ثالثا:الحياء:

إن التأمل في إحسان الله ورحمته يورث العبد حياء منه سبحانه وتعالى،فيستحي العبد المؤمن من خالقه أن يعصيه ،ثم إن وقع في الذنب جهلا منه استحيا من الله بعد وقوعه في الذنب،ولذا كان الأنبياء يعتذرون عن الشفاعة للناس بذنوبهم خوفا وخجلا،وإن هذا لأمر قل من ينتبه له،بل قد يظن كثير من الناس أن التوبة والعفو قد غمر ذنوبه فلا يلتفت إلى الحياء بعد ذلك.

كان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة والصوم حتى يصفر جسده فلما احتضر بكى،فقيل له: ما هذا الجزع؟،فقال: مالي لا أجزع،والله لو أتيت بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه مما قد صنعت،إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحييا منه.

و(الله أحق أن يستحيا منه من الناس)[١٠٥].

رابعا:رحمة الخلق:

ومن استشعر رحمة الله تعالى وشاهد ذلك بقلب صادق أفاض على قلبه رحمة الخلق،ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الخلق بالخلق،وسماه ربه رحيما فقال تعالى:(بالمؤمنين رؤوف رحيم)[التوبة ١٢٨].

---

(١٠٤) رواه مسلم(٢٢٤٤،٢٢٤٥)وروى البخاري قصة البغي(٣٣٢١).

(١٠٥) هو قطعة من حديث رواه أبو داود(٤٠١٧)وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود(٣٣٩١).

وقد أبصر الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن،فقال :إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه من لا يرحم لا يرحم)[١٠٦].

ولما قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا :أتقبلون صبيانكم،فقالوا نعم، فقالوا لكن والله ما نقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة)[١٠٧].

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الرحمة بل وجعلها سببا لرحمة الله تعالى،وجعل من نزعت منه الرحمة شقيا،فقال صلى الله عليه وسلم: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل)[١٠٨]،وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي)[١٠٩] .

([١٠٦]) رواه البخاري(٥٩٩٧)مسلم(٢٣١٨).

([١٠٧]) رواه البخاري(٥٩٩٨)مسلم(٢٣١٧).

([١٠٨]) رواه البخاري(٧٣٧٦)ومسلم(٢٣١٩)واللفظ له.

([١٠٩]) رواه الترمذي(١٩٢٣)،وقال:" حديث حسن "،وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي(١٥٦٨).

رحمة تغيب عن كثير من الأذهان

ومن الرحمة التي تغيب عن كثير من الأذهان رحمة عموم الخلق مسلمهم وكافرهم .قال صلى الله عليه وسلم : (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[١١٠].

قال الطيبي :"أتي بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر والناطق والبهم والوحوش والطير"[١١١].

قال ابن تيمية في أهل البدع: (ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر . والحيرة مستولية عليهم،والشيطان مستحوذ عليهم . رحمتهم ورفقت عليهم،وأتوا ذكاء وما أتوا زكاء،وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما،وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة(فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون)[الأحقاف ٢٦][١١٢].

---

(١١٠) رواه الترمذي(١٩٢٤)وقال:" حديث حسن صحيح"،وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٥٦٩)والسلسلة الصحيحة(٩٢٥).

(١١١) تحفة الأحوذي(٦/٥١).

(١١٢) الفتوى الحموية(٥٥٣)وانظر كلاما جميلا عن ذلك في مدارج السالكين(١/٤٥٩).

تــنبيهان

وختاما للتأمل في هذا الاسم الكريم لا بد من التنبيه على أمرين:أولهما: أن رحمة الله الخاصة إنما تحصل بطاعة الله واتباع مرضاته فالله عز وجل يقول : (إن رحمت الله قريب من المحسنين)[الأعراف ٥٦].

وليس لمن عصى الله أن يتعلق باسمه الرحمن ليستمر في العصيان فالله تعالى يقول: (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم،وأن عذابي هو العذاب الأليم)[الحجر ٤٩-٥٠]،وقد حج عمر بن عبد العزيز مع سليمان بن عبد الملك فأصابهم برق ورعد كادت تنخلع له قلوبهم،فقال سليمان:هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها،قال:يا أمير المؤمنين هذا صوت رحمة الله فكيف لو سمعت صوت عذاب الله.وفي الحديث: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ،ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد)[١١٣].

ثانيهما:أن ما ذكر من آثار وتأملات في هذا الاسم الكريم إنما هي قطرة من بحر وزهرة من بستان،فلو سودت الدفاتر والأوراق كلها لما أدركت جميع ما في هذا الاسم من الأسرار والمعاني،وهكذا كل اسم من أسماء الله تعالى،وإنما هي فتوحات يفتح الله بها لكل عبد بحسبه،ولو اجتمعت فتوحات الخلق جميعا لما أدركوا جميع ما في كل اسم من أسماء الله تعالى.

([١١٣]) رواه البخاري(٦٤٦٩)بلفظ مقارب،ومسلم(٢٧٥٥)واللفظ له.

الخاتمـــة

هذا آخر ما أمكن القلم أن يُسَطّره في هذا الموضوع العظيم .وأذكِّر من ألقى في هذه الرسالة نظرة ، أو أحسن الظن بها فقرأها أن يتذكر أن كاتبها إنما هو ضيف على هذا الموضوع الذي هو مقصد الفحول من السائرين،وأن هذا البحث لا يعدو أن يكون كلمات يسيرة من خاطر مكدود ،وقلب مشتت ، وكاتب يشكو إلى الله تعالى عُجَره وبُجَرَهُ، قد رام جبالا من المعرفة، وسلك مسلكا مصعدا فيه؛ بعد طول تردد ،وانقباض في القلم . غير أن توجه النصيحة أوجب الكتابة والتدوين ، مع كثير من العجز والتقصير في سلوك طريق القوم .

فيا من وقف عليه خذ ما فيه من الخير ،واستغفر لراقمه ، واسأل الله الفتاح شيئا من فتوحه،وإن رأيت غير ذلك فعليك بالستر والنصح والتنبيه ،فكل أحد من البشر قد ورد مورد الخطأ ، إلا الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام.

اللهم افتح لي ولكل من وقف عليه بفتح من عندك ،فإن بيدك مفاتيح الخير ،وإنك أنت الفتاح العليم،واجعلنا ممن يحبب عبادك إليك ويحببك إلى عباده،واجعلنا مباركين أينما كنا،واغفر لنا تقصيرنا وإسرافنا في أمرنا،واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم.

والله تعالى أعلم وأحكم،والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا.

فهرس الموضوعات

الموضــوع	رقم الصفحة
مقدّمـــة المختصر	٢
مقدمتان :المقدّمة الأولى :تزكية النفس . معنى تزكية النفس	٤
المقدّمة الثانية :أعمال القلوب .عمل القلب أهمّ من عمل الجوارح	٥
أقسام السائرين إلى الله في أعمال القلوب	٥
الأسماء والصفات وأثرها في الترابط بين عمل القلب وعمل الجوارح	٦
أهميّة موضوع التعبّد بالأسماء والصّفات أوّلا : العلم بالأسماء والصفات أشرف العلوم	٧
ثانيا : العلم بالأسماء والصفات هو الطريق لمعرفة الله تعالى	٧
ثالثا: العلم بالأسماء والصفات أصل الدين، وسر العبودية	٧
رابعا: العلم بالأسماء والصفات من توحيد المرسلين	٧
خامسا: العلم بالأسماء والصفات أصل العلوم	٨
سادسا: العلم بالأسماء والصفات طريق الكَمَلَة	٨
سابعا: العلم بالأسماء والصفات طريق السعادة	٨
ثامنا: العلم بالأسماء والصفات طريق محبة الله	٩
تاسعا: العلم بالأسماء والصفات أعظم روافد الإيمان	٩
من يحتاج إلى هذا الموضوع ؟	١٠
أركان التعبد بالأسماء والصفات ،**الأول**: الإيقان بالاسم على كماله وحسنه،والصفة على تمام الاتصاف بها	١١
الثاني: أن يعامل كل اسم أو صفة بما يقتضيه ذلك الاسم أوتقتضيه تلك الصفة	١١
الاتصاف بموجب الاسم والصفة	١١
مراتب التعبد بالأسماء والصفات	١٣
طرق الوصول إلى التعبد بالأسماء والصفات: **الطريق الأول**: التأمل في الأسماء والصفات،وفهم معانيها والتدبر فيها	١٤
التأمل في اسم الله الجبار	١٤

الموضـــوع	رقم الصفحة
التأمل في صفة العلو	١٥
التأمل في صفة العلم	١٥
التأمل في صفة السمع	١٥
التأمل في اسم الله البصير	١٦
التأمل في صفة القيومية	١٦
التأمل في اسم الجلالة الله	١٦
الطريق الثاني:التأمل في مفعولات الله وآياته الكونية:	١٧
التأمل في الكون وما فيه	١٨
التأمل في الملائكة	١٩
الطريق الثالث:التأمل في نعم الله ومنته على العبد:	٢٠
التأمل في بعض نعم الله على النفس	٢٠
الطريق الرابع:النظر في الآيات الشرعية والأحكام الربانية:	٢٠
أمثلة على التأمل في الآيات الشرعية والأحاديث النبوية	٢١
أمثلة على التأمل في الأحكام الشرعية	٢٣
آثار التعبد بالأسماء والصفات:	٢٤
أولا: محبّة الله . حبّ الله هو الفطرة	٢٤
سرور القلب بمحبة الله	٢٥
محبة الله باعث التوحيد والطاعة	٢٥
ثانيا: الذل والتعظيم	٢٦
سجود القلب	٢٦
ثالثا:الخشية والهيبة	٢٧
رابعا:اليقين والسكينة والطمأنينة	٢٧
خامسا : الرضا	٢٨
سادسا:التوكل	٢٨

الموضـــوع	
سابعا :الدعاء	٢٩
ثامنا:الإخلاص	٢٩
تاسعا:التلذذ بالعبادة	٣٠
خفة العبادة بسبب لذتها	٣١
تأمّلُ الأسماء والصفات طريق للذة العبادة	٣١
مثال تطبيقي:التعبد باسم الله (الرحمن)	٣٣
معنى اسم الله الرحمن	٣٣
التأمل في آيات الله وأفعاله الدالة على رحمته	٣٣
رحمة الله في الكون والحيوان	٣٣
رحمة الله بالإنسان	٣٥
رحمة الله بالعفو والتوبة	٣٥
الفرح الإلهي	٣٦
حديث عظيم يبين رحمة الله	٣٧
آثار التعبد باسم الرحمن	٣٨
أولا: الحب	٣٨
ثانيا:الرجاء وحسن الظن بالله	٣٨
ثالثا:الحياء	٣٩
رابعا:رحمة الخلق	٣٩
رحمة تغيب عن كثير من الأذهان	٤١
تنبيهان	٤٢
الخاتمـة	٤٣
فهرس الموضوعات	٤٤